المبحث الخامس
رأي المدرسة الحديثة في النبوة والأنبياء والمعجزات

أولاً: النبوة والأنبياء:

ولما كانت هناك أمور هي من مصالح الإنسان الضرورية، ويستحيل عليه إدراكها تفصيلاً بعقله وحواسه وسائر قواه، مثل تفصيلات الإيمان بالله تعالىٰ وأسمائه وصفاته وأمور الغيب الأخرىٰ وما بعد الحياة الدنيا (الآخرة)، وتفصيلات الأحكام الشرعية (الشريعة والمنهاج) التي تضمن للإنسانية الحياة الكريمة الآمنة الموصلة إلىٰ ما يحبه ويرضاه ويريده الله تعالىٰ، فقد اصطفىٰ الله رسلاً من خيار البشر ليكونوا هم الواسطة بين الله تعالىٰ وخلقه، ليبلغوا للعباد دين الله وشرعه.

وهؤلاء هم الأنبياء والرسل، اختارهم الله رحمة منه لعباده، معرفين به تعالىٰ وبأسمائه وصفاته، وداعين إلىٰ توحيده، وإفراده تعالىٰ بالعبادة والطاعة والانقياد (الربوبية والألوهية) بيان الطريق والشِّرْعَةِ الموصلة إليه تعالىٰ المتضمنة أمره ونهيه، ومبينين لوعده تعالىٰ لمن أطاع الله واتبع رسله وعمل بما جاء عنه بالجنّة، والفوز والرضا منه تعالىٰ، ولوعيده لمن عصىٰ وتنكب الطريق بالنار والغضب والهوان، وسائرأخبار البعث والآخرة[1]، وصفهم الله تعالىٰ بأنهم ﴿مبشرين ومنذرين﴾.

وقد أوجب الله تعالىٰ علىٰ عباده الإيمان بالرسل، وفطرهم علىٰ ذلك ويسر لهم السبل إليه، وامتحنهم بأمور صارفة عن الهدىٰ والحق، من وساوس

(١) راجع شرح العقيدة الطحاوية ـ تحقيق أحمد شاكر ص٩، ١٠.

الشياطين، واتباع الأهواء وغير ذلك، ابتلاء يتميز به المطيع من العاصي.

وختم الله الرسل بنبينا محمد ﷺ، فجعله أفضل الأنبياء وآخرهم، وأمته أفضل الأمم وأوسطها، فهم الشهداء على الناس وأرسله إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً، وأوجب على الأمم الإيمان بجميع الرسل دون تفريق بين أحد منهم.

﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [١٣٦: البقرة].

هذا هو التصور الإجمالي للإيمان بالرسل وما جاؤوا به عن الله تعالى.

أما المدرسة العقلية الحديثة، فهي تفسر النبوّة وتناقشها على أنها ظاهرة إنسانية تتعلق بالنشاط الإنساني، وأنها تقبع في زاوية من زوايا الحياة والتاريخ البشري الطويل.

ومن ثم تتناولها وتدرسها وتفسرها، دراسة وتفسيراً ماديين، على ضوء نظريات العلم المادي الحديثة بزعمهم، ومن مزاعمهم في ذلك:

* أن النبوة ظاهرة إنسانية فردية شخصية، تخرج من ذات النبي وعبقريته الفذة، ومما يتميز به من طاقات وقوىً فريدة، وبما يتأثر به من مؤثرات البيئة من حوله، الفكرية والفلسفية والدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وغيرها.

* وأن النبي شخصية فذة تملك قدرة عظيمة على التأثير، بما أوتيه من قوة روحانية تمنحه صفاء النفس، وقوة الشعور، والقدرة على التأمل الباطني والتفكير العميق، والإحساس المرهف، فتصدر عنه، تعاليم وإرشادات دينية قيمة.

* أما أن يكون له صلة بأمر خارج ذاته ـ كالملك ـ، وخارج نطاق الإنسانية،

فهذا شيء تستبعده وتشك فيه المدرسة العقلية الحديثة وقد تنكره وتزعم أن العلم ينفيه، ومسكين هذا العلم الذي بهتوه ونسبوا إليه إلحادهم وهو منهم بريء.

*وقد تفسر ـ العقلية الحديثة ـ النبوة على أنها نمط من الكهانة والسّحر والدّجل والشعوذة، وأن الأنبياء إنما هم مجموعة من محترفي هذه المهن.

* ومن ثم تكون الأديان السماوية ـ ومنها الإسلام ـ إنما هي ـ **على زعمهم الباطل** ـ نتيجة نشاط إنساني، جاءت بسبب ظروف مكانية وزمانية مؤقتة، وأنها حركات إصلاحية محلية، أو عالمية، قابلة للرفض أو القبول والمناقشة والتبديل وتستنفد طاقاتها حين تزول أسبابها ويمضي عليها الزمن، أما الأنبياء فأحسن تقدير لهم من قبل العقلية الحديثة أن تجعلهم في صف الشخصيات المحترمة من العظماء والعباقرة، والمفكرين، والفلاسفة، والقواد والمشاهير والمصلحين الكبار.

*وقد تراهم أو بعضهم فئة من الدجالين والمشعوذين والكهان. كما يزعم العقاد عن الأنبياء قبل إبراهيم[1].

* وهناك طائفة من العقلانيين أكثر اعتدالاً في تفسيرهم للنبوة، ونظرتها للأنبياء فهي تعترف بأن النبوة والرسالة اختيار وأمر إلهي لا شأن لشخص النبي فيه، وأن الأنبياء يُصطفون من الله تعالى، لكنها متأثرة بالاتجاه العقلي المادي، وتسايره، فتُعرِّف النبوة والأنبياء بتعريف عقلي لايلتزم الشرعية بألفاظها التي وردت في الكتاب والسنّة، ومن ثم تعطي النبوة مفهومًا متناقضًا، قابلاً للرد وإثارة الشبه، بل قابل للتأويل المادي الذي يفسر النبوة بأنها نشاط إنساني كما ذكرت.

ومن ذلك تعريف الشيخ محمد عبده ـ وهو من أول من تأثر بالاتجاه العقلاني الغربي بهذا الصدد، فيما أعرف ـ فقد عرّف النبوة بتعريف لايلتزم المعنى الشرعي وتعريف السّلف الصالح له.

(١) انظر: إبراهيم أبو الأنبياء ص٤٨٢.

قال في تعريف النبي بأنه :

«إنسان **فطر على الحق علمًا وعملاً** بحيث لايعلم إلا حقّاً ولا يعمل إلا حقّاً على مقتضى الحكمة»[١] .

وهذا التعريف فيه تساهل وتوسع في معنى النبوة، فإنه ينطبق على النبي وغيره، فإن كل بني آدم يولدون على الفطرة، ويفطرون على الحق وقد يوفق الله بعض عباده الصالحين أن لا يفعل إلا حقّاً على مقتضى الحكمة . وقد عرّف الجمهور النبي بأنه : من يوحى إليه بشيء، فإن أمر بتبليغه فهو رسول[٢] .

وشيء آخر : أن النبي ﷺ، وسائر الأنبياء ـ كسائر الناس، لا يعرف الوحي ولا تفاصيل الشرع، قبل النبوة، وقد يقع في بعض الأخطاء عدا الشرك والفواحش، فقد أخبر الله رسوله ﷺ أنه لم يكن يعرف الحق، قال تعالى : ﴿ **وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى** ﴾ [٧ : **الضحى**] .

ومعناه : أنه لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان[٣]، وقد فوجئ بالنبوة، فلم يكن في نفسه أي تفكير مسبق لها، قال تعالى : ﴿ **مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ** ﴾ [٥٢ : **الشورى**] .

ثم إن هذا التعريف لايشير إلى اصطفاء الله لأنبيائه، كما يدخل في تعريف الشيخ بعض أولياء الصوفية والمخرفين، وأئمة الشيعة المزعومين، **ولا يشير إلى الوحي الذي هو من لوازم النبوة**، كما قال تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم** ﴾ [١٠٩ : **يوسف**] فذكر الوحي شرط في تعريف النبوة والرسالة .

فهذا (تعريف محمد عبده للنبوة) تعريف فلسفي لا يثبت عند التحقيق

---

(١) نقلاً عن موقف العقل لمصطفى صبري ص٢٩ جـ١ ، ومحمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين، تحقيق سليمان دنيا ص٣ .

(٢) راجع النبوات لابن تيمية ص١٧٢ ، ١٧٣ والنبوة والأنبياء للصابوني ص١٣ .

(٣) انظر تفسير ابن كثير ٤/ ٥٢٥ .

والنظر في نصوص القرآن والسنّة.

وقريباً من هذا قول الشيخ في تفسير المنار:

«إن روح النبي منطوية **على الدين جملة من قبل أن ينزل عليه** الوحي بتفصيل مسائله»[١] وهذا تعريف فلسفي صوفي باطني خطير.

فإن روح النبي إذا أمكن أن تنطوي على جملة الدين فما المانع من أن تنطوي على تفصيلاته؟، فقد يؤول الأمر على هذا الوصف إلى القول بأن الدين والنبوة والرسالة شيء نابع من ذات النبي ما دامت روحه منطوية عليه، وهذا هو رأي المدرسة العقلية، حيث تميل إلى أن النبوة والرسالة والدين نشاط إنساني، لا صلة له بقوى غيبية خارجية، كالملائكة وجبريل ونحو ذلك.

ويذهب الشيخ إلى أبعد من ذلك، حين يعقب على تعريف النبي بقوله: «وذلك يكون بالفطرة، أي لا يحتاج فيه إلى الفكر والنظر، ولكن التعليم الإلهي، فإن فطر على دعوة بني قومه إلى ما جبل إليه فهو رسول أيضاً، وإلا فهو نبي وليس برسول فتفكر فيه فإنه دقيق»[٢].

فهو جعل الفطرة مكان الوحي في هذا الوصف، وهذا **يخالف الوصف** الشرعي للنبوة، **فإنه خلط بين الفطرة التي فطر الله الجميع الناس عليها، وهي** شيء مركوز في كيان **الإنسان ويولد معه، وبين النبوة التي هي اصطفاء طارئ** بالوحي ولبعض الخلق، وهم قليل، فالرسول لو كان فطر على دعوة بني قومه كما يزعم محمد عبده، **فلماذا لم تحدث للنبي ﷺ ولم تتحرك لديه هذه الفطرة إلا بعد سن الأربعين، مع توفر الأسباب والدواعي؟**

ومع أننا قد نوافق الشيخ محمد عبده بأن النبيّ قبل اختياره للنبوة، مفطور على الفطرة السليمة، **والأخلاق الفاضلة**، والخصال الحميدة، **بل إنه أفضل**

(١) تفسير المنار جـ٢ ص١٤.

(٢) الشيخ محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين ـ تحقيق وتقديم سليمان دنيا ص٣.

البشر في ذلك، لكن لا يعني هذا أن روحه منطوية على الدين جملة؛ لأنه لو كان كذلك لم يجهل جملة الإيمان، حيث قال الله عنه: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ﴾ [٥٢: الشورى]. وقال: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ [٦، ٧: الضحى].

وإذا كان فُطِرَ على النبوة فكيف تكون خديجة رضي الله عنها وورقة بن نوفل أعلم منه بحاله أول عهده بالوحي؟ فقد روى البخاري ومسلم وغيرهما في قصة بدء الوحي أنه ﷺ حين أنزل عليه الوحي في حراء رجع إلى منزله يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: «**زملوني زملوني**» **فزملوه** حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: «**لقد خشيت على نفسي**» وقالت خديجة: **كلا والله ما يخزيك الله أبدًا**. وأنها انطلقت به إلى ورقة بن نوفل وأنه أخبره بأن هذا هو الناموس الذي يأتي إلى موسى عليه السلام[1].

وهذا يخالف كل المخالفة ما أشار إليه الشيخ هنا.

وبناء على ما تذهب إليه العقلية الحديثة من أن النبوة والرسالة نشاط بشري رأت أنها نوع وصاية على الإنسان، بما تحمله من دعوة إلى توحيد الله وعبادته دون سواه وبما جاءت به من أوامر ونواهٍ، وأن هذه الوصايا ما هي إلا قيود دينية نابعة من سلطات الأنبياء والمرسلين، لذلك لا بد من التحفظ على هذه السلطات الدينية وإضعافها كما قضت العقلية الغربية الحديثة على سلطات الكنيسة، أو أضعفتها. **ربما يظن القارئ أني أبالغ أو ألزم العقلانيين ما لم يقل به أحد منهم، لذا فإني أحيله إلى ما يذهب إليه** الدكتور محمد أحمد خلف الله في ذلك، بأن القرآن الكريم ـ بزعمه ـ جاء لتحرير الإنسانية من سلطات الأنبياء والمرسلين! وهذا نص عبارته: «**إذا كان القرآن الكريم قد عمل على تحرير العقل البشري من سلطات الآلهة فإنه**

(١) رواه البخاري.

قد عمل هنا أيضًا على تحريره من سلطات الأنبياء والمرسلين»[1] .

وهذا تحريف لآيات الله، فإن الله تعالىٰ هو الذي أرسل الأنبياء والمرسلين رحمة للعالمين، فما هي تلك السلطات التي يزعمها الكاتب؟ أو يزعم أن القرآن حرر منها؟ والكتب المنزلة ومنها القرآن نفسه إنما جاءت من الله تعالىٰ عن طريق المرسلين، والقرآن أمر باتباع الرسول ﷺ وجعله شرطًا للإيمان.

وكذلك فالقرآن الكريم جاء بعكس ما قاله الكاتب، فإنه جاء لتحرير العقل البشري من سلطان الهوىٰ والطواغيت، ودعىٰ إلىٰ اتباع ما جاء به الأنبياء والمرسلون، وما أرسل الله من نبي ولا رسول إلا ليطاع بأمر الله، لا بتسلط الرسول نفسه.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[٦٤: النساء]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [٥٦: الكهف].

فالرسل ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ ما هم إلا مبلغون عن الله، وليست لهم أي سلطة علىٰ الناس يطلبونها، إلا سلطة دين الله الذي كله رحمة وهداية وأمن، قال تعالىٰ: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ [٣٥: النحل].

وهم حجة الله علىٰ خلقه: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ [١٣٠: الأنعام].

ويتابع الدكتور خلف الله شبهاته حول النبوات والأنبياء، وينتقص منهم ويتهمهم بأنهم دخلاء علىٰ الدين حين يقول:

«والأساس الأول الذي بنىٰ عليه القرآن فكرة تقدم العقل البشري خطوة إلىٰ الأمام في سبيل التحرير من سلطات الأنبياء والمرسلين، كان القضاء علىٰ تلك الهالة التي يراها الناس قدسية ويحيطون بها الأنبياء والمرسلين، فقد كان الناس

(١) راجع القرآن ومشكلات حياتنا المعاصرة للدكتور أحمد محمد خلف الله ص٢٥.

يرتفعون بهم حينًا من مصاف البشر إلى مصاف الملائكة. كما كان الذين يؤمنون ببشرية الرسل يؤمنون بامتيازات خاصة لهم ترتفع بهم في مقام البشرية طبقات وهي أنهم قادرون على الإتيان بالمعجزات وإحداث الخوارق من العادات، وأن هذا كله هو الدليل على أنهم رسل السماء إلى أهل الأرض حقّاً. حارب القرآن كل هذه الأفكار وحرص العقل البشري على الثورة أو دفع به إلى الإيمان فقط بالمبادئ ـ المبادئ التي ترتقي بها الحياة»[1].

هكذا ترى أيها القارئ هذه المزاعم والدعاوى الخطيرة.

فالدكتور لا يزال يردد فريته على كتاب الله بأنه بنى فكرة تقدم العقل على التحرير من سلطات الأنبياء والمرسلين، وهذه دعوى عريضة فهي **أولاً** لا تستند إلى أي دليل من القرآن، على أنه جاء لتحرير البشرية من سلطات أنبياء الله ورسله. **وثانيًا**: القرآن مليء بالنصوص التي تأمر توصي باتباع الأنبياء والمرسلين وتقرر أن من خرج من سلطاتهم التي هي العدل والسعادة والهداية والرحمة فهو ضال هالك شقي في الدنيا والآخرة؛ لأنهم هم الذين جاءوا بالهدى من الله، قال تعالى: ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [١٦٥: النساء].

وقال: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [١٢٣، ١٢٤: طه].

فالقرآن جاء لتحرير العقل البشري من سلطات غير الأنبياء والمرسلين، لكن من عادة العقلانيين تحريف آيات الله عن مواضعها وفرض مفاهيم ومقررات عقلية مسبقة على كتاب الله.

كذلك يزعم المؤلف ـ كما ترى ـ أن الناس هم الذين أحاطوا الأنبياء بالتقدير والاحترام والهالة، ونسي ـ أو تجاهل ـ أن الأنبياء بحق هم خيار الخلق،

(١) المصدر السابق ص٧٥.

وهم المُصطَفَوْن الأخيار، وقد أوجب الله على الناس الإيمان بهم واحترامهم وطاعتهم، وجعلهم في مصاف الملائكة، بل إن الأنبياء والمرسلين أفضل من جملة الملائكة، فلو لم يأمرنا الله باحترامهم، لاحترمناهم لحميد خصالهم، فكيف وقد شرفهم الله بالنبوة والرسالة والوحي والاصطفاء؟ فهم المصطفون الأخيار كما وصفهم الله.

أما قوله بأنهم قادرون على الإتيان بالمعجزات وإحداث الخوارق من العادات وأن ذلك دليل على أنهم رسل السماء، وأن ذلك من الهالة التي أضفاها المؤمنون على المرسلين، فقد أخطأ.

لأن الله تعالى هو الذي أمدَّ الأنبياء والمرسلين بالمعجزات ولم تكن من خيالات المؤمنين، فهي ثابتة ومتكررة في القرآن، كما أن المعجزات ليست من قدراتهم، إنما هي مدد من الله لهم، لا يملكون جلبها، ولا صرفها ولا التحكم فيها، إلا بأمر الله.

فإن طوفان نوح، وعصا موسى، ونار إبراهيم، وناقة صالح، ومعجزات محمد ﷺ ليست من اختراعات المؤمنين، حيث ذكرها الله في كتابه على أنها معجزات لعباده المرسلين، ولم يحارب القرآن هذه الأفكار ـ كما زعم الدكتور ـ بل إن القرآن هو الذي جاء بهذه الحقائق وحكاها.

وعليه: فإن المدرسة العقلية الحديثة قد تشعر بأن شرائع الأنبياء والمرسلين ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ كابوس جاثم، يثقل كاهل الإنسان، فإن القارئ الجاهل، إذا قرأ كلام الدكتور الآنف الذكر، يكاد يشعر بأن الأنبياء والمرسلين بهذا الوصف، ما هم إلا عصابة انتهازية متسلطة، تتحكم برقاب البشر وعقولهم وقلوبهم، وإلا فما هي يا ترى سلطات الأنبياء والمرسلين التي جاء القرآن لتحرير البشرية منها؟! فإنَّ الله تعالى هو الذي يسلط رسله كما قال تعالى: ﴿**وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [٦: الحشر].

نعم؛ إن ما جاء به الأنبياء من الحق والهدىٰ، ثقيل علىٰ الكفار والمنافقين، ويتضمن الإنذار للمعرضين وجهادهم وإن كان (خلف الله) يشير إلىٰ سلطات الكنيسة في الغرب، فهذا بهتان بحق الله ثم الدين والعلم والتاريخ وعباد الله المرسلين؛ لأن الكنيسة ـ والدكتور يعرف هذا ـ تحكم باسم رجال الدين، ولا تحكم بما أنزل الله، والله ورسله بريئون من تعاليم الكنيسة في الغرب، والقرآن أخبرنا أن النصارىٰ بدّلوا كلام الله وحرفوا كتبهم كما قال تعالىٰ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [٣١: التوبة] ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [١٣: المائدة]، ولم يبق لهم سند صحيح من تعاليم نبيهم عيسىٰ عليه السلام، كذلك اليهود، فالتوراة والإنجيل دخلهما التَّحريف، فالذنب ذنب المُحَرِّفين، ولا يحمّل به أنبياء الله ورسله.

ثم إذا كان هذا الكلام الذي ذكره الدكتور يخص الكنيسة فَلِمَ يُعمِّم الكلام علىٰ أنبياء الله ورسله؟ مع العلم أنه لا يجوز التفريق بين أحد منهم فالذي يطعن بدين عيسىٰ، يسيء إلىٰ محمد ﷺ، وسائر المرسلين، لكن أكثر العقلانيين من الذين قال الله فيهم: ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [١٥٠: النساء].

وأخيراً نريد من الدكتور (خلف الله) أن يحدد بالدليل ـ ما دام يتكلم حول القرآن ـ ما هي سلطات الأنبياء والمرسلين التي جاء القرآن لتحرير العقل البشري فيها: أهي دعوات التوحيد؟! أم هي الشرائع؟!

هل يجد في القرآن آية تحرر العقل من سلطة نوح، وإبراهيم، وموسىٰ، وعيسىٰ، ومحمد؟ العجيب أنه لم يورد آية من كتاب الله ـ ولن يستطيع ـ ليدعم فريته، بل العكس هو الصحيح، لكنه الباطل قذفه الشيطان علىٰ لسانه.

ونتيجة هذا الحوار: أن العقلانية الحديثة تجعل الدِّين الذي جاء به الرسل، وما يشتمل عليه من عقيدة وشريعة وأوامر ونواهٍ، بمثابة الوصاية علىٰ الإنسانية، والتسلط غير المشروع من قبل المرسلين علىٰ البشر، وأن البشرية اليوم وصلت

إلىٰ مستوىٰ من العقلية الراقية، يجعلها في غنىٰ عن تعاليم السماء التي جاء بها الأنبياء والمرسلون، وأنا أعلم أنه ليس كل العقلانيين علىٰ هذا المذهب الجانح بل كثيرون منهم يمقتونه، لكن لكل منهم نصيب من التأثر به، ومناهجهم توافقه وتتأثر به.

أما ربط النبوة بالكهانة والسِّحر، ومن ثمَّ وصف الأنبياء بالكهنة فإنه أيضًا من سمات العقلية الحديثة، إذ يرىٰ بعضهم أن النبوات ما هي إلا تدرج سام عن السحر والكهانة والتنجيم، وأن الإنسان توصل إلىٰ النبوة بالتطور الفكري والعقلي والتجارب الطويلة التي مارسها عبر مهنة الكهانة، والشعوذة، وأن النبوة صنعة، أو حرفة كهنوتية راقية يمارسها النبي والرسول.

وهذا ما يميل إليه عباس العقاد، حين يزعم أن النبوات التي ظهرت في غير السلالة العربية، إنما هي من عمل الكهان!

فيقول: «إن النبوة التي تنفصل من الكهانة خاصة لم تتكرر في غير السلالة العربية، فما من ديانة كبرىٰ أو صغرىٰ في أنحاء العالم إلا ويستطيع المؤرخ أن يحيلها كلها من مبدأ التاريخ إلىٰ عمل الكهّان»[1].

ويقول: «أما ديانات الأنبياء فلا وجود لها في غير السلالة العربية»[2].

وهذه العبارات فيها خلط وتناقض:

ولست أدري من يعني بالسلالة العربية؟ فإن كان يعني بها بني آدم كلهم فلا فائدة للتخصيص، والنبوات المذكورة في القرآن لم تخرج عن بني آدم.

وإن كان يعني بالسلالة العربية من هم بعد إبراهيم عليه السلام، فإنه يقع في إنكار صريح القرآن، فقد ذكر الله نوحًا، وإدريس، ولوطًا، وصالحًا، وهم قبل

(١) إبراهيم أبو الأنبياء ـ للعقاد ـ ص٤٨٢ من المجلد الأول من موسوعة العقاد الإسلامية.

(٢) المصدر السابق.

العرب[١]، فهل يكون هؤلاء كهّان؟ وإن كان يقصد بالعرب الساميين فكذلك يخرج منهم[٢] آدم ونوح وإدريس[٣] أيضًا، ويقع عليهم حكمه بأنهم كهنة، وحاشاهم، فهذا تفريق بين الرسل، والله تعالىٰ يقول عن الرسل والمؤمنين: ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ [٢٨٥: البقرة].

وقوله: «إن النبوة التي تنفصل من الكهانة» يفيد أن هناك نبوات لا تنفصل من الكهانة، وهذا خلط، **فالنبوة اختيار إلهي، واصطفاء** من الله تعالىٰ لواحد من خيار خلقه، فليقل لنا العقاد: أي نبي من الأنبياء وجد أن نبوته فيها شيء من الكهانة؟

إنه يجيب: بأن النبوات في غير السلالة العربية لا تنفصل من الكهانة، لكنه لم يسم لنا هذه النبوات.

ولعله يعني بالديانات والنبوات التي تنفصل عن الكهانة: تلك الجاهليات الوثنية في فارس واليابان والصين والهند، وهذا خلط لا يعذر فيه مثل العقاد! فهو يعرف أن تلك الوثنيات ليست بنبوات، والنبوات لا تكون إلا من الله تعالىٰ وباختياره، والكهانة ما هي إلا شعوذة ودجل لا تليق بمقام النبوة.

لكن العقاد يصر إلىٰ أن تكون الوثنية نبوة، وأن تكون نبوات الأنبياء والمرسلين الذين اختارهم الله نبوات وثنية، فيها العبادة والسحر، وفيها الخبل والصدق علىٰ حد سواء، حين يقول:

---

(١) انظر الإيمان بالرسل، أحمد عز الدين البيانوني ص١٣.

(٢) كما يُعترض علىٰ العقاد بعيسىٰ عليه السلام فهو لا ينتمي لأي سلالة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [٥٩: آل عمران] وعيسىٰ عليه السلام صاحب ديانة كتابية كبرىٰ.

(٣) راجع الإيمان بالرسل عليهم السلام لأحمد عز الدين البيانوني ص١٣ وراجع النبوات لابن تيمية ص١٧٣.

«بهذه الفكرة الرشيدة عن النبوة يفرق الإسلام بين طريقتين شاسعتين في تاريخ الأديان: طريق موغلة في القدم تنحدر إلى مهد النبوات الوثنية، حيث تشتبك العبادة بالسحر والكهانة، ثم تتقدم خطوات وئيدة، يلتقي فيها الخبل باليقظة، وتختلط فيها الخرافة بالإلهام الصادق والموعظة الحسنة»[١].

فما هي يا ترى النبوات الوثنية، ومتى اشتبكت العبادة بالسحر والكهانة والخبل باليقظة، والخرافة بالصدق؟! وعلى يد مَن مِن الأنبياء؟

يجيب العقاد على ضوء النظريات الغربية المادية خاصة نظرية التطور حين يقول: «إن النبوة التي تنفصل من الكهانة خاصة لم تتكرر في غير السلالة العربية»[٢].

وعلى هذا الزعم: فالنبوات الوثنية التي اتصفت بتلك الصفات هي نبوات نوح وآدم وإدريس ولوط وصالح وغيرهم من رسل الله الذين أرسلوا لكل أمة من الأمم غير العربية!

كما أن هذه الصفات التي ذكرها عن النبوات، تنطبق على وثنيات الفراعنة، واليونان، والرومان والفرس، وعلى تعاليم خوفو وحامورابي، وبوذا، وشنفوس، وخيالات أرسطو وأفلاطون وأرسطاليس، وتخليط اليهود والنصارى في كتبهم المحرفة، ولا تليق بالنبوات التي جاءت من الله، وقامت على التوحيد الخالص، فلا سبيل للخرافة والخبل والكهانة إليها، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [٣٦: النحل] وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [٢٥: الأنبياء].

---

(١) راجع حقائق الإسلام وأباطيل خصومه للعقاد، المجلد الخامس من موسوعة العقاد الإسلامية ص٧٢.

(٢) إبراهيم أبو الأنبياء للعقاد ص٤٨٢، جـ١ من موسوعته الإسلامية.

فالنبوات كلها **ارتكزت على التوحيد الخالص، وتنقية العقيدة من الشرك وذرائعه، لكن العقلية الحديثة**، ممثلة بالعقاد ومن ذهب مذهبه، **تأبى إلا أن تجعل النبوة بشرية بحتة، لا صلة لها بالله تعالى، حين تخلط النبوة بالكهانة**.

وربما يوضح هذا جليّاً قول العقاد بأن النبوات لم تبدأ إلا من إبراهيم عليه السلام.

حين يقول: «إن الدعوات النبوية التي بدأتها دعوة إبراهيم، سلالة لم يظهر لها نظير في غير الأمم العربية والأمم السامية»[١].

فيا سبحان الله، كلما أراد أن يخرج من الفتنة أركس فيها، وكلما نحاول أن نجد لكلامه محملاً أقرب إلى الحق، أبى إلا أن يقع في الخطأ نفسه، فهو لا يزال يصر على أن النبوات قبل إبراهيم كما ذكر.

كما يؤكد مذهبه بأن النبوات غير العربية خليط من الكهانة والإلهام والصدق والخبل حين يقارن بين النبوة والكهانة، فيذكر الفروق العقلية، لكنه لم يشر إلى الفروق الشرعية البتة[٢].

فمن البديهي أن من أهم الفروق بين الكهانة والنبوة: أن النبوة من الله، والكهانة بشرية وشيطانية بحتة، والنبوة مؤيدة بمعجزات خارقة، والكهانة ليست كذلك، والنبوة توحيدية، والكهانة وثنية، لكنه لم يشر إلى هذه الفروق أو شيء منها، ثم إن الأنبياء معصومون[٣] عن الخطأ والتناقض اللَّذَيْنِ يقع فيهما الكهّان، بل إنه لا داعي للمقارنة بينهما؛ لأنهما على طرفي نقيض. وكل ما ذكره العقاد لا يستند إلى أي دليل علمي.

---

(١) المصدر السابق ص٥٠٦.

(٢) راجع إبراهيم أبو الأنبياء للعقاد ص٤٧٨ إلى ٤٨٤ من موسوعته الإسلامية جـ١.

(٣) راجع مجموع فتاوى ابن تيمية المجلد ٤ ص١٦٨، والمجلد ١٠ من ص٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩٢.

وعلىٰ كل حال: الإيمان بالنبوات والرسالات والكتب السماوية والأنبياء والمرسلين أصل من أصول العقيدة الإسلامية، وركن من أركان الإيمان التي لا يصح إسلام المسلم إلا بها.

والإيمان بالقرآن والتصديق والالتزام لما جاء به فرض علىٰ المسلم كذلك لا يتم إسلامه إلا به.

وأمر النبوات والأنبياء في التاريخ غيب لا نعرفه بطريق صحيح إلا ما جاء عن الله وصح عن رسوله ﷺ.

وقد أخبرنا الله تعالىٰ أنه أرسل النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب والميزان بالحق، فمنهم مَنْ قَصَّه علينا ومنهم من لم يقصصه وأنه أرسل في كل أمة رسولاً من السلالة العربية وغير السلالة العربية، قال تعالىٰ: ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله** ﴾ وقال: ﴿ **وإن من أمة إلا خلا فيها نذير** ﴾.

وأن النبوات كلها جاءت لتوحيد الله، ومحاربة الوثنية والكهانة والدجل، وأنها لا تلتقي مع الكهانة والسحر، بل هي حرب عليها، فَلِمَ يلبس العقلانيون الحق بالباطل ويكتمون الحق وهم يعلمون وهم يقرءون كتاب الله؟ إن منهج العقلانيين هذا هو منهج أهل الكتاب الذين يحرفون الكلم عن مواضعه.

كما أن العقلية الحديثة، انساقت مع موجة العلمانية المادية الحديثة فأرادت **أن تُخضِع النبوَّة للاستدلال المادي العلمي، بدعوى أن المسلمين لا تثبت لهم عقيدتهم في العصر الحديث إلا بتأييد العلم الحديث** وإخضاع أصول العقيدة للبحث العلمي، بالأسلوب الغربي، فالإيمان بالنبوة بالأسلوب التقليدي، الذي درج عليه المسلمون، وجاء في الكتاب والسنّة، لا يكفي لإثباتها علمياً[1] (كذا يَدَّعون).

(١) انظر تفاصيل هذه الشبهات والرد عليها في: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، لمصطفىٰ صبري ص١٢١ ـ ١٢٥ جـ١ وغيرها.

وكان من أكثر المنتصرين لهذه الفكرة محمد فريد وجدي[١] والشاعر محمد إقبال، حيث كان ـ أي إقبال ـ يقارن بين النبوة **وحالة الصوفي كحالتين** متماثلتين أو متقاربتين **في كنه الصلة بالله تعالى**[٢]، ويرىٰ إقبال أن النبوة نوع من الوعي الصوفي[٣].

وهذا منزلق خطير من إقبال، فمقارنة حالة الوجد عند الصوفي بحالة الوحي عند النبي، توهم بأن حالة **الوحي حالة باطنية فردية تنبع من ذات النبي، كما هي الحال عند الصوفي في حال الوجد**، مع أن الأمر ليس كذلك، فحالة الوجد عند الصوفي حالة إرادية إنسانية، تحدث بالتأمل الباطني والكشف، وتتمخض عن نتائج قد تكون شيطانية أو وهمية في الغالب، ولا تعدو شخص الصوفي، ولا تصدر عنها تعليمات إلهية، وأكثر حالات الوجد حالات تصدر من وساوس الشياطين والجن وتوهمات الإنسان وفطرته ووساوسه لأنها لم تحدث لأصلح الخلق بعد المرسلين، وهم أصحاب رسول الله ﷺ، وهم القدوة بعد رسول الله ﷺ.

أما حالة الوحي عند النبي فهي حالة تتمثل فيها أمور إلهية تحدث من خارج ذات النبي، مثل نزول الملك عليه، وسماعه الوحي مثل صلصلة الجرس؛ ولا يأتيه الوحي بإرادته، بخلاف الصوفي، فإنه يقع في الوجد والتأمل والكشف بإرادته المحضة وبممارسته الذاتية.

وعلىٰ أي حال: فالصوفي يمثل ـ في الغالب ـ الانحراف عن خط النبوة، فالمقارنة بينهما لا مكان لها أصلاً.

---

(١) راجع مقالته (السيرة النبوية تحت ضوء العلم والمدنية) في مجلة الأزهر مجلد ١٠ العدد الأول ص١٥.

(٢) راجع تجديد الفكر الديني لمحمد إقبال، تعريب عباس العقاد ص٣١، ٣٢.

(٣) انظر المصدر السابق ١٤٣.

وبهذه المفهومات العقلانية للنبوة، صارت تعادل مفهومات العبقرية والعظمة:

وعليه: فالأنبياء عند العقلانيين (على أحسن تقدير) مجموعة من العظماء والعباقرة، وقد يكونون من المصلحين إذا حسن بهم الظن، وقد يكونون من المتسلطين كما أشار إلى ذلك محمد أحمد خلف الله في كلامه الذي سبق ذكره قبل صفحات.

وربما يقال على منهج العقلانية المنحرف: إنه من الممكن الاستغناء عن النبوة، ما دامت بهذا الوصف؛ لأن كل عصر يملك أن يجود بالعبقريات في أفراد عظمائه، فكيف بالعصر الحديث الذي تحرر فيه العقل وتقدم فيه العلم؟

وهذا ما دفع أحد الشعراء في مصر (محمد إحسان المحامي) أن يعلن أن العلم الحديث يملك قوة النبوة ويزيد ـ فهو المستحق أن يتبع ـ في قصيدة قال فيها:

قـــام في الناس نبي إنما ... شـــأنه ليس شـــأن المرسلين

وَحَّد الناس وقد فرقهم ... كافة الرسل على مر السنين

جاءهم من غير إنجيل ولم ... يأتهم بالوحي جبريل الأمين

معجزات العلم أوفت على ... معجزات الدين ماضي للقرون

إلخ القصيدة[1] التي تحكي حال العقلانيين وتعبر عن مناهجهم الضالة، نسأل الله السلامة.

والكلمة الأخيرة التي نقولها للعقلية الحديثة بمختلف وجهاتها واتجاهاتها العقلانية التي سقت شيئًا منها:

إن النبوة وحي واصطفاء من الله تعالى، والرسل ليسوا إلا مبلغين عن الله، وقد اختارهم واصطفاهم وشرفهم بها، فقال تعالى: ﴿**اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ**﴾ [٧٥: الحج].

---

(١) عن موقف العقل لمصطفى صبري ص٣٥٣ جـ١.

وإنهم خيار البشر: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾ [٤٧: ص].

ولم تكن نبوتهم نابعة من ذواتهم، إنما هو وحي من الله، ولا يملك الرسول طلبه ولا دفعه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [٨٦: الإسراء].

وما كانوا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم ضرّاً ولا نفعًا، قال تعالىٰ لرسوله: ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلا نَفْعًا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [٤٩: يونس].

فكان الوحي ينزل إليهم بإرادة الله لا بإرادتهم ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [١٥: يونس].

وكل الأنبياء لهم حق الاحترام والتقدير، ولا يجوز تخصيص أنبياء السلالة العربية ونبواتهم بشيء إلا بدليل، فالله تعالىٰ يقول: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [١٣: الشورى].

ولم يرد أن للعرب مزية علىٰ غيرهم في نبوات ولا في غيره إلا بالدين إذا اتبعوه، أما الإسلام فلم يكن عربيّاً، ولا النبوة عربية، إنما كان دينًا عالميا، فهو دين الله للناس كافة ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [١٣: الحجرات].

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [٨٥: آل عمران].

ولم تكن النبوة تسلطًا، ولا قيودًا علىٰ الناس، إنما كانت رحمة وهدىٰ، ولم تكن مهمة الرسل، ومنهم رسولنا ﷺ، قاصرة علىٰ التوجيه والوعظ والإرشاد، إنما كانوا مبشرين ومنذرين، ومشرعين وموجهين، وحاكمين وقادة، في أممهم وأقوامهم ولهم السلطة عليهم، يُحكِّمون شرع الله وينفذون أوامره، ويقيمون الحدود ويقضون بين الناس بالعدل.

﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [٦٥: النساء].

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ ٢٨٥: البقرة].

ثانيًا: معجزات الأنبياء:

إن المدرسة العقلية الحديثة حين حاولت تنزيل النبوة إلى مستوى النشاط الإنساني، اصطدمت بحقيقة المعجزات المادية والمعنوية التي صحبت النبوات، وكانت دليلاً أفحم كل الملحدين والمرتابين في كل أمة، ومع كل رسول، وقد جعل الله المعجزات للأنبياء التي يؤيدهم بها، هي الحُجَّة النهائية التي لا يُردَّها إلا مكابر ومعاند، ولا يكون بعدها من الله إلا الإعذار، ومن ثم الهلاك القاصم في الدنيا والآخرة.

فكانت معجزات الأنبياء آيات بينات من الله تعالى، كما جاء في تعريف المعجزة وهو أنها: شيء خارق للعادة يصحب النبي، مقرونًا بالتحدي، وليس بمقدرة الإنس والجن فعل مثله[1].

ولم تجرؤ العقلية الحديثة على إنكار شيء من أصول العقيدة، جرأتها على إنكار المعجزات للأنبياء والمرسلين، وتأويلها تأويلاً يؤول إلى الإنكار.

فإنه بالرغم من ثبوت المعجزات الخارقة، للأنبياء في الكتاب والسنة وإجماع المسلمين، حقيقة كما وردت في ظاهر النصوص، فإن العقلية الحديثة تزعم أنه لابد من إعادة النظر فيها، إما بتأويلها، أو بتكذيبها، حسب مقتضيات العلم المادي الحديث، القائم على التجربة والمشاهدة، والاستقراء المحسوس، فإنه ـ في نظرهم ـ من الجهل والسذاجة أن نبقى متمسكين بعقائد وموروثات لا يسندها العلم الحديث الذي بلغ شأوًا بعيدًا في التثبُّت والموضوعية[2]..

(١) راجع كتاب النبوات لابن تيمية ص٥ ـ ١٣.

(٢) من المؤلفات العقلانية التي تعرضت لإنكار المعجزات أو بعضها أو التشكيك فيها:

١ ـ حياة محمد، لمحمد حسين هيكل.

٢ ـ القرآن ومشكلات حياتنا المعاصرة. محمد أحمد خلف الله. =

وهذا من أعظم البهتان على العلم الحديث وغير الحديث، فإن العلم هو ما جاء به الوحي، والعلم التجريبي المادي البشري لا يملك نفي المعجزات، بل يثبتها.

وللشيخ محمد عبده قصب السَّبق من بين العقلانيين المحدثين في تأويل المعجزات والخوارق التي وردت في القرآن الكريم، حسب مقتضيات العلم المادي الغربي الحديث بزعمه.

ثم جاء من بعده باحثون ساروا على منهجه، صارت لهم الجرأة على إنكار المعجزات، وأكثرهم يستند إلى تأويل الشيخ الإمام (محمد عبده) كما سنرى بعد.

فأول محمد عبده قصة البقرة (وهي معجزة) بأنها حالة لم يحدث فيها إحياء الميت، بضربه ببعض البقرة، وإنما المقصود «الاستبقاء»[1] . . بحقن الدماء وأنه: «معنى إحياء الموتى على هذا حفظ الدماء التي كانت عرضة لأن تسفك بسبب الخلاف في قتل تلك النفس، أي يحييها بمثل هذه الأحكام، وهذا الإحياء على حد قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ﴾ [٣٢: المائدة]، وقوله ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ [١٧٩: البقرة]، فالإحياء هنا معناه الاستبقاء كما هو في الآيتين»[2].

قلت: لماذا أَنِفَتْ نفسُ هذا العقلاني إثبات المعجزة، وهي أن يحيي الله الميت بإذنه بضربه ببعض البقرة، فإنها آية ولا شك؟

ويرد عليه: بأن الله تعالى قال: ﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾ ومعروف أن

= ٣ ـ السيرة النبوية تحت ضوء العلم والفلسفة. محمد فريد وجدي ـ مجموعة مقالات في مجلة الأزهر، المجلدان ١٠ ـ ١١.

٤ ـ روح الإسلام ـ سيد أمير علي.

٥ ـ تفسير محمد عبده (المشهور بتفسير المنار).

(١) تفسير المنار ـ المجلد الأول ص ٣٥٠ ـ ٣٥١.

(٢) نفس المرجع السابق.

الموتى من فارقوا الحياة، كما أن الآيتين اللتين ذكرهما في الاستبقاء للأحياء ليس فيهما ذكر الموت، بخلاف آية البقرة.

والشيء الآخر: أنه تعالى قال: في آية البقرة: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [٧٣: البقرة].

فالآيات هي المعجزات؛ لأن المسألة كانت تدور حول استنطاق القتيل ليتضح الحق، ويدل ذلك على استغرابهم وتعجبهم من موسى حين قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [٦٧: البقرة]، قالوا: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾، فلو كانت المسألة عادية معروفة لديهم وليس فيها إعجاز لما قالوا لنبيهم هذا.

قال ابن كثير: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ [٧٣: البقرة]، هذا البعض أي شيء كان من أعضاء هذه البقرة، فالمعجزة حاصلة به وخرق العادة به كائن[١]. . فالآية إنما تحكي حدثًا خارقًا فيه مشاهد عجيبة، فالبقرة هي الحيوان المعروف، فهي حقيقة، ووصفها حقيقة، وذبحها حقيقة، وضرب الميت ببعض لحمها حقيقة، وحياته بعد الموت ـ بإذن الله ـ حقيقة، ونطقه حقيقة. وبهذا تكون للقصة فائدتها وقيمتها، لكن القوم لا يفقهون.

كما أوَّل محمد عبده قصة الطير الأبابيل: فالحجارة من سجيل بزعمه هي: جراثيم الجدري أو الحصبة تنقل بواسطة الذباب أو البعوض، التي هي الطير تنقل المكروبات لتلك الأمراض[٢]. .

وهذا تأويل بعيد عن هدف القصة، ومعاني الإعجاز، وأساليب اللغة، فألفاظ القرآن محددة لقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [٣، ٤، ٥: الفيل].

فعبارات القرآن، (طير)، (ترمي)، (حجارة)، (سجيل) (العصف المأكول)،

(١) مختصر تفسير ابن كثير ـ للصابوني ـ المجلد الأول ص٧٨.

(٢) راجع تفسير جزء عم للشيخ محمد عبده ص١٥٥، ١٥٦ تفسير سورة الفيل.

ألفاظ عربية واضحة، يفهمها العربي لأول وهلة، ولا ينصرف الذهن إلى المعاني التي أشار إليها محمد عبده إلا بدليل شرعي عن الله وعن رسوله؛ لأن الأمر يتعلق بكلام الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿**كعصف مأكول**﴾، يوحي بأن طبيعة هذه الخارقة من القواصم الحاسمة التي لا تحصل بداء الجدري والحصبة التي في العادة تأخذ الجسم رويداً رويداً، وإن أهلكت الإنسان فلا تدعه كعصف مأكول.

وهذه محاولة مكشوفة من الشيخ لرد المعجزة والخارقة إلى المألوف المادي من السنن الكونية، وإلا فما معنى هذا التكلف في تأويل خارقة ذكرها الله في كتابه؟ وليس لدينا خبر آخر عن الله ورسوله يحملنا على هذا التأويل والتحريف في سياق الحادثة إلا الفتنة بالعلم الحديث[1]. نسأل الله السلامة.

ثم إن القصة مشهورة ومشهودة يعرفها كثيرون من جيل المشركين الذين نزل عليهم القرآن، فلو لم تكن كما ذكر في ألفاظها، لسارع المشركون آنذاك لتكذيب القرآن، أو الشك فيه؛ لأنهم لا يدركون هذه المعاني الحديثة للجراثيم، ولا يسمون البعوض والذباب طيراً، فلو لم يروا الطير والحجارة، لكذبوا القرآن. ولو كانت القصة كما ذكر (معتادة) لما يكن لذكرها والتنويه عنها في كتاب الله كبير فائدة.

وهذان نموذجان من تأويلات الشيخ محمد عبده لكثير من المعجزات التي وردت في القرآن.

والعقلانيون لإعجابهم بالغرب وأفكاره المادية الإلحادية، يستحيون من ذكر معجزات النبي ﷺ ولذلك يحاول بعضهم إنكارها أو تأويلها، أو بعضها.

وحرصاً على تضييق نطاق الغيبيات ـ التي لا تتفق في علمية الغرب المادية

(١) راجع تفسير الظلال لسيد قطب جـ٦ ص٣٩٧٨ تفسير سورة الفيل ط دار الشروق (٥).

بزعمهم ـ حاول بعض رواد المدرسة العقلية الحديثة، أن ينكر كل معجزة لنبينا محمد ﷺ أو خارقة، غير القرآن الكريم، كما فعل بعض العقلانيين الأولين من المعتزلة والفلاسفة ومن سلك سبيلهم، مع أنه من المعلوم أن معجزاته ﷺ الكبرىٰ هي القرآن، لكن لا يعني هذا أنه لم يحظ بأي معجزة أو خارقة أخرىٰ فقد صحت الأخبار في السُّنَّة أنه حصلت له ﷺ خوارق ومعجزات أخرىٰ مثل:

شق صدره وغسل قلبه ﷺ، وقد حدثت له قبل النبوة وبعدها[١]، وانشقاق القمر[٢]، والإسراء والمعراج[٣]، وحنين الجذع[٤]، وقصة فرس سراقة[٥]. . وبصقه في عين علي فبرئت[٦]، وغيرها من الخوارق والمعجزات، التي لا سبيل إلىٰ إنكارها أو التشكيك في صحتها، وفيها ما هو متواتر قطعي الثبوت، وعليه إجماع المسلمين. فقد ورد منها في البخاري ومسلم وسائر السنن والمسانيد في أحاديث صحيحة الشيء الكثير.

وبالرغم من هذا فإن محمد حسين هيكل، يرىٰ أن المعجزات والخوارق التي حصلت لرسولنا ﷺ، كانت من وضع المسلمين إمعانًا في تقديسه ومبالغة في

(١) وردت القصة في صحيح مسلم في كتاب الإيمان، حديث رقم ٢٦٠ ـ باب الإسراء برسول الله ﷺ إلىٰ السماوات. وكذلك الحديث رقم: ٢٦١.

(٢) وردت في الصحيحين وغيرهما ـ راجع صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر، وصحيح مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم باب انشقاق القمر، حديث رقم ٤٣، ٤٤.

(٣) قصة الإسراء والمعراج مستفيضة وردت في الصحاح والمسانيد والسنن والسير، راجع صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب المعراج، وصحيح مسلم كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ حديث رقم ٢٥٩.

(٤) وردت في صحيح البخاري ـ راجع كتاب الأنبياء ـ باب علامات النبوة في الإسلام.

(٥) راجع صحيح مسلم كتاب الزهد والرقائق ـ باب في حديث الهجرة ـ حديث رقم ١٥.

(٦) وردت في الصحيحين وغيرهما ـ راجع صحيح البخاري، فضائل الصحابة، باب مناقب علي رضي الله عنه.

احترامه ﷺ[١].

ويزعم أنها لا تصمد أمام النقد العلمي الصحيح[٢]، ولا يصدقها العقل[٣]، وأن الرسول ﷺ لم تحدث له معجزة أو خارقة غير القرآن الكريم[٤].

فهو يقول:

«وندع الدين جانبًا ونقف عند سيرة صاحبه عليه السلام، فقد أضافت أكثر كتب السيرة إلى حياة النبي ﷺ ما لا يصدقه العقل، ولا حاجة إليه في ثبوت الرسالة»[٥]..

وقوله: «ندع الدين جانبًا» منزلق خطير؛ لأننا إذا تركنا الدين ولم نعتبره في مثل هذه المسألة الغيبية، لم يبق لنا ما يستند إليه، ولا يكون للعلمية والمنهجية التي يدعيها المؤلف معنى، وعلى أي حال، فالعقلية الحديثة كما هو واضح من هذه العبارة تميل إلى التجرد من الدين عند البحث، ولو كان من المباحث الدينية نفسها، وهذا انحراف، فالتجرد من الدين ردة.

ويقول: «فحياة محمد حياة إنسانية بلغت أسمى ما يستطيع إنسان أن يبلغ.

ولقد كان ﷺ حريصًا على أن يقدر المسلمين أنه بشر مثلهم يوحى إليه، حتى كان لا يرضى أن تنسب إليه معجزة غير القرآن، ويصارح أصحابه بذلك»[٦].

ويتهم السلف الصالح وكتب الحديث التي حفظ الله بها السنة فيقول:

«... فقد لاحظ الذين درسوا هذه الكتب أن ما روته من أنباء الخوارق

---

(١) راجع حياة محمد، لمحمد حسين هيكل ص٤٧، ٤٨، ٤٩.

(٢) المصدر السابق ص٤٩، ٥٤، ٥٥.

(٣) المصدر السابق ص١٤.

(٤) المصدر السابق ص٥٤، ٥٥.

(٥) راجع حياة محمد ـ لمحمد حسين هيكل ص١٤.

(٦) المصدر السابق ص٤٥.

والمعجزات ومن كثير غيرها من الأنباء ،كان يزيد وينقص، دون مسوغ، إلا اختلاف الأزمان التي وضعت هذه الكتب فيها»[١] . .

ثم يقول: «أما ومضرة الروايات التي لا يقرها العقل والعلم قد أصبحت واضحة ملموسة، فمن الحق على كل من يعرض لهذه الأمور أن يراعي جانب الدقة العلمية في تمحيصها، خدمة للحق، وخدمة للإسلام وتاريخ النبي العربي»[٢] . .

وإذا علمنا أن كثيراً من روايات المعجزات والخوارق له ﷺ وردت في البخاري ومسلم وسائر السنن والمسانيد، ومنها المتواتر القطعي الثبوت، وقد أجمع عليها المسلمون ـ إذا علمنا هذا كله ـ قدرنا مبلغ الخطورة، والانحراف والخطأ الذي وقع فيه هيكل في عباراته هذه، وقد وقع كثيرون من المعتزلة القدامى والجدد في هذا المزلق.

ومن هذا المنطلق، أَوَّلَ هيكل الخوارق والمعجزات التي مر بها في كتابه «السيرة»، فقال في حادثة الفيل ـ كما قال أستاذه الإمام محمد عبده ـ:

«كان وباء الجدري قد تفشى في الجيش وبدأ يفتك به، وكان فتكه ذريعًا لم يعهد من قبل قط، ولعل جراثيم الوباء جاءت مع الريح من ناحية البحر، وأصابت العدوى أبرهة نفسه»[٣] .

وقد ناقشت هذا التأويل في تفسير محمد عبده لهذه الخارقة لكني أرى أن هيكل أعطى القصة مفهومًا عقلانيا أبعد مما فعل شيخه، فهيكل يرى أن جراثيم الجدري جاءت مع الريح من ناحية البحر. . وهذا فتح علمي جديد! (على حد تعبير العقلانيين). . وأنا أعجب كيف يقول ذلك من يدعي العلمية والمنهجية

(١) حياة محمد. محمد حسين هيكل ص٤٧، ٤٨.

(٢) حياة محمد. محمد حسين هيكل ص٥٤.

(٣) حياة محمد. محمد حسين هيكل ص١٠٢.

والموضوعية. فأي علم تحقق به أن الطير جراثيم، وأنها مع الريح، وأنها من جهة البحر، والبحر نقيٌّ، أقول: بل هذه كهانة على النمط الحديث فاعتبروا!

كذلك لما مر بقصة سراقة حين ساخت فرسه وهو يريد الرسول ﷺ أثناء الهجرة، ادعى أنها لم تحدث له خارقة، إنما هي أمر عادي تَطَيَّر له سراقة، وما حدث إنما هو مجرد كبوة لفرسه[١]..

ويقال له: بأن سراقة كان فارسًا فاتكًا شديد البأس ولا ترده الطيرة في مثل هذا الموقف لولا أن حدث له أمر قاهر خارق. كما أنه موعود بجائزة عظيمة من كفار قريش، ثم يحفزه طلب الفخر والظفر الذي يسجله الزمان وتتحدث به الركبان، فليس للتطير مجال هنا.

كما أن القصة وردت في البخاري ومسلم، وهي صريحة في أنها حدثت خارقة لأن رجلي الفرس انغرست في الأرض كلها، مع أن الأرض صلبة، كما ورد في الصحيح من حديث البراء بن عازب (فذكر قصة الهجرة) عن أبي بكر ـ رضي الله عنهم ـ إلى أن قال أبو بكر:

«واتبعنا سراقة بن مالك قال: ونحن في جلد من الأرض، فقلت: يا رسول الله، أوتينا فقال: لا تحزن إن الله معنا. فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فارتطمت فرسه إلى بطنها»[٢].. إلخ الحديث.

ويقول (هيكل كذلك) عن حادثة شق الصدر التي حصلت له ﷺ قبل النبوة أثناء رضاعه في بني سعد[٣]، وحصلت له أيضًا بعد النبوة أثناء الإسراء

(١) راجع حياة محمد ص٢١٤ ـ ٢١٥.

(٢) رواه مسلم ـ كتاب الزهد والرقائق ـ باب في حديث الهجرة ـ حديث رقم (٧٥).

(٣) راجع السيرة النبوية لابن كثير المجلد الأول ص٢٣١ ـ تحقيق مصطفى عبدالواحد، وصحيح البخاري، كتاب بدء الخلق ـ باب ذكر الملائكة، وراجع صحيح مسلم كتاب الإيمان ـ باب الإسراء برسول الله ﷺ.

والمعراج[١]، وقد وردت في الصحيحين البخاري ومسلم وغيرهما، يقول هيكل فيها: «لا يطمئن المستشرقون، ولا يطمئن جماعة من المسلمين كذلك إلى [قصة] الملكين هذه، ويرونها ضعيفة السند»[٢]..

وهذه العبارات توحي بأن المؤلف يذهب إلى أن المستشرقين صاروا من الأئمة العدول وأعلام الهدى والحق، ومن رجال الجرح والتعديل في السنة، وصارت أحاديث رسول الله ﷺ ضعيفة بتضعيفهم لها، أما علماء الحديث المسلمون فهم متهمون كما يذكر المؤلف في مواضع من كتابه، وكما أشرت قبل قليل.

ويكمل هذا بقوله:

«وإنما يدعو المستشرقين، ويدعو المفكرين من المسلمين، إلى هذا الموقف من ذلك الحديث: أن حياة محمد كلها **إنسانية سامية، وأنه لم يلجأ في إثبات رسالته إلى ما لجأ إليه من سبقه من أصحاب الخوارق**»[٣]..

وتأمل جمعه بين المستشرقين والمفكرين من المسلمي؛ ن لتعلم من يعني بهم، ولتعلم أن العقلية الحديثة تقدم ـ بل تقدِّس ـ المستشرقين حتى في الحكم على السند في الحديث، وأن مجرد عدم اطمئنان المستشرقين لحديث من أحاديث رسولنا ﷺ، ولو تواتر عند المسلمين، يكفي، للحكم عليه بعدم الصحة، فتأمل جيداً قوله: (لا يطمئن المستشرقون) وقوله: (ويرونها ضعيفة السند).

وعلى هذا: فعلى جهود علمائنا وسلفنا الصالح العفاء، وقد كادت أن تضيع جهود البخاري ومسلم وأحمد والشافعي وغيرهما في جهل هيكل! (ولن تضيع بين المسلمين حتى تقوم الساعة، إن شاء الله).

---

(١) المرجع السابق.

(٢) راجع حياة محمد ص١١١.

(٣) راجع حياة محمد ص١١٢.

ولا يقل موقف الشيخ محمد فريد وجدي خطراً عن موقف هيكل من المعجزات، إذ يرىٰ أن معجزاته ﷺ غير القرآن من وضع الناس، لا سيما تلك المعجزات التي صحت روايتها، وتواتر وقوعها في السنة مثل: انشقاق القمر، كذلك حادثة شق صدره ﷺ قد صحت في السنة . . ومع هذا يقول رائد رواد العقلية الحديثة، الذين لا يعذرون بجهل السنة، وهو الشيخ محمد فريد وجدي - رئيس تحرير مجلة الأزهر - الأسبق:

«تمتاز العصور النبوية (يعني عصور الأنبياء)[1] بالخوارق للنواميس الطبيعية . . فأساطير الأديان ملأىٰ[2] بذكر حوادث من هذا القبيل، كان لها أقوىٰ تأثير في حمل الشعوب التي شهدتها علىٰ الإذعان للمرسلين الذين حدثت علىٰ أيديهم، وقد حدثت أمور من هذا القبيل في العصر المحمدي صاحبت الدعوة في جميع أدوارها، وكانت أعظم شأنًا وأجل أثراً من كل ما سبق من نوعها، ولست أقصد بها ما تناقله الناس من شق الصدر، وتظليل الغمامة، وانشقاق القمر، وما إليها مما لا يمكن إثباته بدليل محسوس، ومما يتأتىٰ توجيهه إلىٰ غير ما فهم منه، ولكني أقصد تلك الانقلابات الأدبية والاجتماعية التي تمت علىٰ يد محمد ﷺ في أقل من ربع قرن»[3] . .

ثم قال: «وقد لاحظ قراؤنا أننا نحرص فيما نكتبه في هذه السيرة علىٰ أن لا نسرف في كل ناحية إلىٰ ناحية الإعجاز، ما دام يمكن تعليلها بالأسباب العادية حتىٰ لو بشيء من التكلف . . مسايرة لمذهب المبالغين في التثبت والمحافظة علىٰ الدستور العلمي، ثقة منا بأن بحثًا لا تحترمه النخبة المثقفة، ولا يجد فيه صورة

(١) وتسمية عصور ما قبل الإسلام بالعصور النبوية، مصطلح عقلاني، له دلالة انهزامية!.

(٢) لعله نسي أنّ القرآن نفسه - وهو كلام الله - ذكر كثيراً من معجزات الأنبياء، فلماذا يخص أساطير الأديان؟

(٣) مقالة بعنوان: (السيرة المحمدية في ضوء العلم والفلسفة)، في مجلة الأزهر - العدد السابع من المجلد الحادي عشر ص٣٨٥.

صحيحة لمثلها الأعلىٰ في عرض المسائل وتحليلها لا يمكن أن يؤدي إلىٰ ما قصد منه من الخدمة العامة»[١] . .

وهذه هي الانهزامية بعينها، فهو لا يقبل شق الصدر، وانشقاق القمر، رغم أنهما صحتا في السنة ـ كما سيأتي بعد قليل ـ لا لشيء إلا لأنهما مما لا يمكن إثباته بدليل محسوس. سبحان الله! إن أكثر أصول عقيدة المسلمين لا يمكن إثباتها بدليل محسوس، فالنبوة والوحي والملائكة، والجنة، والنار، وسائر أمور الغيب، لا يمكن إثباتها بدليل محسوس، أفننزلها من حساب العقيدة؟ وإذا كنا لن نؤمن إلا بما دل عليه الحس انهدم الإيمان بالغيب، فإن الغيب هو غير المحسوس، وما يدرك بالحواس ليس من الغيب.

وشعار الإثبات بدليل محسوس، والدستور العلمي، هما شنشنة[٢] العقلانية المادية الملحدة.

أما قوله بأن الانقلابات الأدبية والاجتماعية التي حصلت له ﷺ هي معجزة فهذا حق، أما أن تكون هي وحدها المعجزة كما يزعم، فليس الأمر كذلك.

لأن الاستدلال، وقصر الإعجاز علىٰ تلك الانقلابات الأدبية والاجتماعية علىٰ حد تعبيره يؤدي إلىٰ إنكار معجزات أقوىٰ وأبلغ، وثابتة في السنة لا يمكن نفيها، ومن الممكن أن تدعي كل أمة لعظمائها الإعجاز بالانقلابات الاجتماعية والعلمية والأدبية والدستورية.

وما أكثر الذين لهم معجزات في عرف العقلية الحديثة، «فلوثر» صاحب معجزات وانقلابات تحررية.

«وماركس» عند المعجبين به من الملاحدة وغيرهم، يملك رصيداً ضخماً من الانقلابات الاقتصادية والوثنية، «ولينين» كذلك.

---

(١) المصدر السابق ص٣٨٥، ٣٨٦.

(٢) الشنشنة: الخلق والطبيعة. . (مختار الصحاح كلمة ش. ن. ن).

«**وفرويد** ، و **داروين**» أصحاب انقلابات فكرية واجتماعية وعلمية وجنسية خطيرة في عرف النخبة المثقفة التي يتطقها وجدي، وكل هؤلاء عظماء في عرفهم كذلك، وكل صاحب اتجاه منهم يزعم أن في تلك الانقلابات معجزات لروادها.

كما أنه من الممكن أن تعترض النخبة المثقفة ـ وقد فعلت ـ فتقول: واقع المسلمين اليوم بعيد عن تلك الانقلابات المحمدية، فلا داعي للتشبث بها اليوم.

وأقول: إن تلك الانقلابات التي لرسولنا ﷺ بالإسلام.. إنما هي وحي من الله.. فليست معجزة بالاصطلاح الشرعي، إنما المعجزة الباقية هي القرآن، لا على أنه من عند محمد ﷺ، بل لأنه كلام الله، كما أن الإسلام (القرآن والسنة) لا زال يملك القدرة على الانقلاب الأدبي والاجتماعي، متى ما طبقه المسلمون وتمسكوا به وعملوا بمقتضاه.

أما المعجزات الأخرى التي ثبتت وصحت في السنة لرسولنا ﷺ ـ غير القرآن ـ فإنها وإن لم يستمر التحدي بها ـ كانشقاق القمر ـ إلا أنها هي معجزات بذاتها لا سبيل لإنكارها، وبثبوتها سنداً يبقى فيها الإعجاز والاعتبار.

أما محمد أحمد خلف الله فهو يزعم أن القرآن الكريم حارب فكرة المعجزات! يقول: «وحارب القرآن فكرة المعجزات، وبين أنها لم تكن إلا للتخويف والإلزام وأن العقل البشري يجب أن يترك من غير تخويف ليتحمل المسئولية على أساس من الحرية والمقدرة الحقة على التمييز والمفاضلة والاختيار.

لم يحرص القرآن على المعجزات في إثبات نبوة محمد عليه الصلاة والسلام، وبين أن المعجزات قد تضطر الإنسان إلى التسليم، ولكنها لا تدفع به حقّاً إلى حظيرة الإيمان»[1]..

ويقول: «لقد حرر القرآن الإنسان من الخوف الذي كان يفسر تفسيراً وهميّاً،

(١) القرآن ومشكلات حياتنا المعاصرة ص٧٦ ـ ٧٧ ـ لمحمد أحمد خلف الله.

ولم يكن يفسر تفسيراً علميّاً، حين كان يرد الكوارث إلى غضب الآلهة، ولا يردها إلى الظواهر الطبيعية والظواهر الاجتماعية والتاريخية.

وحرره من الآيات الملجئة المتمثلة في المعجزات وخوارق العادات، وردها إلى نفسه يفكر فيها، وإلى الآفاق يتدبر أمورها»[1]..

ويرد عليه بما سبق بأن كل هذه الأمور التي يزعم أن القرآن جاء بها، فإن القرآن جاء بعكسها تمامًا، فالقرآن ذكر بأن المعجزات من آيات الله، وأورد كثيراً منها في قصص النبيين وغيرهم، فذكر معجزة إبراهيم، وموسى، وعيسى، وصالح، وأصحاب الكهف، وغيرها.. فكيف يزعم أن القرآن حارب المعجزات؟!

وحين يزعم أن القرآن لم يحرص على المعجزات في إثبات نبوة محمد ﷺ، فإنه يجانب الصواب، ولا أظنه يجد الدليل لذلك، بينما نجد أن القرآن نفسه أول معجزة للرسول ﷺ.

وإن كان يقصد بالمعجزات غير القرآن كما ذهب زميله هيكل، فإن السنة تواترت فيها المعجزات (مع القرآن) له ﷺ.

كذا بقية مزاعمه لا تستند إلى دليل، إذ لم يدلل عليها بآية من كتاب الله فيما أعلم.

ومما يدل على جهل هؤلاء العقلانيين بدين الله، وعقيدة المسلمين، وبديهيات الكتاب والسنة، ما ذهب إليه الدكتور أحمد زكي في جريدة الأهرام حين قال:

بـ «أن انشقاق القمر من قبيل الخرافات والأضاليل التي أدخلها كعب الأحبار

(١) المصدر السابق ص٧٩.

ووهب بن منبّه في العقائد الإسلامية»[١] . .

وقد ذكرت قبل قليل أن محمد فريد وجدي زعم أن قصة شق الصدر، وانشقاق القمر، من أحاديث الناس، وهذا جهل أو تجاهل للسنة النبوية؛ لأن قصة انشقاق القمر جاءت في البخاري ومسلم وغيرهما، فهي صحيحة متواترة المعنى واقعة باتفاق المسلمين، وليست من روايات كعب ووهب ـ رحمهما الله ـ بل رواها غيرهم، فرواها خيار صحابة رسول الله ﷺ ورضي عنهم.

فقد روى البخاري عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقين فقال النبي: «**اشهدوا**»[٢] . .

وروى أيضًا عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أنه حدثهم أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر[٣] . .

وروى نحوه عن ابن عباس، وابن مسعود أيضًا[٤] . . كما أن أكثر الصحابة والمفسرين قالوا بأن قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [١: القمر]، نزل في هذه الحادثة[٥] . .

---

(١) جريدة الأهرام ١٦ ربيع الأول عام ١٣٤٨هـ ـ ٢١ أغسطس ١٩٢٩م ـ نقلاً عن مجلة الهداية ـ الجزء الأول ـ المجلد الثاني ـ جمادى الآخرة عام ١٣٤٨هـ.

(٢) صحيح البخاري ـ باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية، فأراهم انشقاق القمر جزء ٤ ص٢٥١.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) قال ابن كثير: ﴿وانشق القمر﴾ قد كان هذا في زمان رسول الله ﷺ، كما وردت في ذلك الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة، وقد تبين في الصحيح عن ابن مسعود أنه قال: «خمس قد مضين: الروم، والدخان، واللزام، والبطشة، والقمر». . وهذا أمر متفق عليه بين العلماء بأن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ، وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات». . انتهى كلام ابن كثير. =

أفتكون آية انشقاق القمر هذه من قبيل الخرافات والأضاليل؟ وهل يكون ابن مسعود، وابن عباس، وأنس، والبخاري، ومسلم، وسائر صحابة رسول الله وسلفنا الصالح من المضللين، ومروجي الخرافات؟ إنما هو الجهل والتقليد الأعمى، فإنه لم يقل هذا الكلام إلا المستشرقون وأتباعهم، وأسلافهم المعتزلة والزنادقة.

أما قصة شق الصدر التي أشار إليها (وجدي) على أنها من أحاديث الناس فقد وردت أيضًا في البخاري ومسلم وغيرهما.. وهذه رواية البخاري «**عن أنس ابن مالك قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فرج عن سقف بيتي، وأنا بمكة، فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانًا، فأفرغه في صدري ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء**»[1].. الحديث.

والتأويل وتحريف النصوص من أهم السمات التي عرفت بها المدرسة العقلية الحديثة كما ذكرت، وقد مر علينا تأويل محمد عبده، ومحمد حسين هيكل، لبعض المعجزات النبوية والخوارق.

وعلى هذا المنوال سار المدعو أبو زيد في حاشيته التي كتبها على المصحف وسماها «الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن».

فقال في عصا موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾

= ثم سرد الأحاديث الصحيحة التي وردت في ذلك في البخاري ومسلم والترمذي والبيهقي، وأبي داود، وأحمد.

راجع مختصر تفسيرابن كثير للصابوني ـ مجلد ٣، ص٤٠٨.

(١) صحيح البخاري كتاب الصلاة ـ باب كيف فرضت الصلاة ـ الحديث الأول ص٩٢ جـ١، وراجع صحيح مسلم ـ كتاب صفات المنافقين ـ باب انشقاق القمر.

[١٠٧: الأعراف]، «مثال من قوة حجته وظهور برهانه»[١].

وقال عن معجزات عيسىٰ عليه السلام:

فقال عن خلق الطير بإذن الله: «مثل من إخراج الناس من ثقل الجهل إلىٰ خفة العلم»[٢].. «أو أنه تكميل التكوين الجسماني بالأخلاق الطيبة»[٣]..

وقوله تعالىٰ عن عيسىٰ عليه السلام: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ [٤٩: آل عمران]. قال: «يعلمهم التدبير المنزلي»[٤]..

وقوله تعالىٰ أيضًا عن موسىٰ عليه السلام ﴿اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [٦٠: البقرة].

يقول: «الغرض أن الله هداه إلىٰ محل الماء وعيونه»[٥]..

وإبراهيم عليه السلام لم ينج من النار بمعجزة بزعمه.. «إنما نجاه الله من النار بالهجرة»[٦].. وهذا مخالف لقوله تعالىٰ: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [٦٩: الأنبياء].

بل إن إسراء ومعراج الرسول ﷺ لم يكن معجزة بزعمه؛ لأنه في رأيه هو

(١) نقلاً عن مجلة نور الإسلام ـ المجلد الثاني الجزء الثالث ـ عدد ربيع الأول لعام ١٣٥٠ ـ الصفحات من ١٧٧ إلىٰ ١٨٢.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

(٦) المرجع السابق.

«الهجرة»[١] . . من مكة إلى المدينة «والمسجد الأقصى مسجد المدينة»[٢] . .

وقد سار على هذا المنهاج كثيرون، مثل: محمود شلتوت الذي أنكر رفع عيسى بجسده إلى السماء[٣]، ومحمد مصطفى المراغي حيث زعم أن القرآن هو المعجزة الوحيدة لنبينا محمد ﷺ[٤]، وعبد العزيز جاويش.

وهكذا يتجرأ العقلانيون على النصوص الصريحة المحكمة في كتاب الله، فيحرفون معانيها وألفاظها. . لإخضاعها لمبدئهم العقلاني المادي في إنكار المعجزات.

فإن المدرسة العقلية تضيق بالمعجزات والخوارق، في حين أنها لا تضيق ببعض الخرافات والدجل والشعوذة الغربية، مثل: التنويم المغناطيسي، الذي هو من عبث الشياطين والجن وكهنة القرن العشرين، وما يصدر أحيانًا عن بعض المشعوذين الغربيين من تنبؤات ونظريات هي أشبه بالخرافات والأساطير ولا تمت إلى العلمية والمنهجية بأي صلة، وكذلك يتغنى العقلانيون بالنظريات الغربية المادية والإلحادية والانحلالية وغيرها، أما ما يَرِدُ في كتاب الله ويصح في سنة رسوله ﷺ ويعتقده المؤمنون، ففيه عند العقلانيين نظر إلا ما تؤمن به العقلية الغربية المادية، وأنى لها ذلك؟!

﴿ فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [٤٦ : الحج].

وللعقلانيين في مواقفهم من الآيات والمعجزات مذاهب شتى، فهم في أمر

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق. وقد ناقشت هذه الدعوى في موضوع (الوحي والقرآن).

(٣) مجلة الرسالة العدد (٤٦٢) في ٢٥/ ٤/ ١٣٦١هـ.

(٤) راجع (حياة محمد) ص١٣.

مريج، فلكل واحد منهم فيها مذهب، وقد وصل الأمر بأحدهم إلى أن يدعي أن قصة صاحب القرية الذي قال ﴿ **أنى يحيي هذه الله بعد موتها** ﴾ وقصة إبراهيم مع الطيور الأربعة إنما هي رؤيا منام لا حقيقة[١]. ولا أدري ما وجه الإعجاز فيها وما وجه التنويه عنها في كلام الله إذا كانت مجرد أحلام؟! فإنه بالإمكان أن تحدث هذه الرؤىٰ لكل إنسان. وكذلك يدعي هذا العقلاني ـ وهو سيد أحمد خان ـ أن كثيراً من آيات الأنبياء مجرد أمور طبيعية لا إعجاز فيها[٢].

*****

(١) انظر: الاسلام دين الفطرة والحرية لجاويش، ص١٤٨.

(٢) راجع: مفهوم تجديد الدين للبسطامي سعيد، ص١٢٨.